517
مدار الوطن للنشر
WWW.MADAR-ALWATAN.COM

دين الإسلام

أقوال وأعمال واعتقادات

فضيلة الشيخ
عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي
حفظه الله تعالى

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض - ص . ب 3310 - هاتف 4792042 فاكس 4723941

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

دين الإسلام الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه بالإسلام بعث الله جميع النبيين..

- قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

- وقال: ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧١ ـ ٧٢]، وأخبر الله عن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن دينه الإسلام، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٠ – ١٣٢].

- وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

وبمجموع هذين الوصفين إسلام الوجه لله والإحسان في العمل علق السعادة فقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

كما علقه بالإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

وهذا يدل على أن الإسلام الذي هو إخلاص الدين لله مع الإحسان وهو العلم الصالح الذي أمر الله به هو والإيمان المقرون بالعمل الصالح متلازمان، فالإسلام أن تعبد الله وحده لا شريك له مخلصًا له الدين، وهذا دين الله الذي لا يقبل من أحد دينًا سواه لا من الأولين ولا من الآخرين، ولا تكون عبادته مع إرسال الرسل إلينا إلا بما أمرت به رسله لا بما يضاده فإن ضد ذلك معصية، وقد ختم الله الرسل بمحمد ﷺ فلا يكون مسلمًا إلا من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وهذه الكلمة بها يدخل الإنسان في الإسلام، ثم لابد من التزام ما أمر به الرسول من الأعمال الظاهرة كالمباني الخمس: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، ومن ترك من ذلك شيئًا نقص إسلامه بقدر ما نقص من ذلك كما في الحديث: «من انتقص منهن شيئًا فهو سهم من الإسلام تركه».

والدين: مصدر «دان يدين دينًا» إذا خضع وذلّ، ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده وهو الخضوع له والعبودية له.

قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم، فمن استكبر عن عبادة الله أو عبده وعبد معه إلهًا آخر لم يكن مسلمًا.

وجميع الواجبات الظاهرة داخلة في مسمى الإسلام، ويدخل في مسمى الدين أيضًا ـ عند الإطلاق ـ؛ الأعمال الباطنة وهي أعمال القلوب كالحب، والخوف، والرجاء، والخشية، والرغبة، والرهبة، والإنابة، والتوكل، والمعرفة، واليقين، والصدق، وعلم الغيب، وتصديقه كالإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، كما يدخل فيه جميع الأعمال الظاهرة كالنطق بالشهادتين، والصلاة، وأداء الزكاة، وصيام رمضان، وحج بيت الله الحرام، وبر الوالدين، والإحسان إلى

الأقارب والجيران، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدخل فيه أيضًا إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والجهاد في سبيل الله وطاعة أولي الأمر في طاعة الله، ونصح المسلمين وتعليمهم وإرشادهم.

ولهذا قال النبي ﷺ في آخر حديث جبريل الطويل: «هذا جبريل آتاكم يعلمكم دينكم»، بعد أن شرح درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان فجعل ذلك كله دينًا.

وكذلك ترك المحرمات داخل في مسمى الإسلام، ومسمى الدين كالزنا، والربا، والسرقة، وشرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وإيذاء الجار بقول أو فعل.

فالخلاصة أنه يدخل في مسمى الدين ومسمى الإسلام عند الإطلاق فعل جميع الواجبات القولية والفعلية وترك جميع المحرمات القولية والفعلية، والأدلة على ارتباط أعمال الدين بالقلب واللسان والجوارح كثيرة منها:

- حديث جبريل المشهور فإنه سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، فأما الإسلام فقد فسره النبي ﷺ بأعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل، وأول ذلك شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وهو عمل اللسان، ثم إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا وهي منقسمة إلى عمل بدني كالصلاة والصوم، وإلى عمل مالي وهو إيتاء الزكاة وإلى ما هو مركب منها الحج.
- ومن الأدلة أيضًا قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»؛ فدل هذا الحديث على أن الإيمان أصلٌ له شعب، وشعبه هي أعمال القلوب وأعمال الجوارح قال ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان»، وكذلك التوكل

والخشية والإنابة من شعبه، وكذلك الصلاة من الإيمان، والزكاة، والصوم، والحج حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق، وبين شعبة الشهادة وشعبة الإماطة للأذى عن الطريق شعب متفاوتة منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة الإماطة.

- ومن الأدلة أيضًا قوله ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»، فأدخل أعمال القلوب وهو الحب والبغض في الإيمان، كما أدخل أعمال البدن في الإيمان وهو الإعطاء والمنع.
- ومن الأدلة أيضًا قوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، فسمى المسلم من ترك أذية الناس بلسانه ويده.
- ومن ذلك قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».
- ويدل على هذا أيضًا ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تعوجوا، وداع يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أحد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله عزَّ وجلَّ، والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من جوف الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»، زاد الترمذي: «والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»؛ ففي هذا المثل الذي ضربه النبي

ﷺ أن الإسلام هو الصراط المستقيم الذي أمر الله بالاستقامة عليه، ونهى عن مجاوزة حدوده، وإن ارتكب شيئًا من المحرمات فقد تعدى حدوده.

ومن الأدلة ما في الصحيحين عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلًا سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة الدالة على أن أعمال الدين مرتبطة بالقلب واللسان والجوارح، ومن نطق بالشهادتين ولم يصدق بقلبه ولم يعمل بجوارحه من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن الشارع - صلوات الله وسلامه عليه - لم يجعل الإيمان حاصلًا بمجرد قول اللسان.

فإن المنافقين يقولون: «لا إله إلا الله» بألسنتهم وهم تحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار، وقد نفى الله الإيمان عنهم في القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، وقال: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقين: ١]، وقال عن المنافقين: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح: ١١]، وقال عن المشركين: ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٨].

فلا يكون الإنسان مؤمنًا مسلمًا حتى يتواطئ قلبه ولسانه على النطق بالشهادتين ويعمل بجوارحه وقلبه بمقتضاهما من المحبة والطاعة والانقياد، وخوف الله ورجائه، والصلاة، والصيام، وغير ذلك.

فإنه من المعلوم بالضرورة أن الشارع الحكيم رتَّب الفوز والفلاح على التكلم بالشهادتين مع الإخلاص

والعمل بمقتضاها كما قال ﷺ في حديث عتبان ـ رضي الله عنه ـ: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

- ولما سأل أبو هريرة النبي ﷺ من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله قال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»، وفي رواية: «مخلصًا من قلبه»، وفي رواية: «صادقًا من قلبه دخل الجنة»، وفي حديث آخر: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله».

إذن فلابد مع قول «لا إله إلا الله» من معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ما خالفها ومعاداته، فإن هذه الكلمة هي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ تبرأ من الشرك وأهله كما قال تعالى عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨].

ومن امتنع عن العمل بجوارحه وقال: الدين في القلب، محتجًا بقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «التقوى ههنا وأشار إلى صدره»، فيقال له إن الإيمان الذي في القلب لابد أن تصدقه الجوارح بأعمالها فإن التصديق يكون بالأفعال كما يكون بالأقوال، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «العينان تزنيان وزناهما النظر والأذن تزني وزناها السمع، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه»، وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الأعمال.

وأما قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «التقوى ههنا

ويشر إلى صدره ثلاث مرات»، ففيه إشارة إلى أن كرم الخلق عند الله بالتقوى، فربَّ من يحقّره الناس لضعفه وقلة حظه من الدنيا وهو أعظم قدرًا عند الله تعالى ممن له قدر في الدنيا، كما قال بعد هذه العبارة: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»، وقال قبلها: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره»، فإن الناس إنما يتفاوتون بحسب التقوى كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وسُئِل النبي ﷺ من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم لله تعالى»، وفي حديث آخر: «الكرم التقوى».

والتقوى أصلها في القلب، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وكما قال الله في الحديث القدسي حديث أبي ذر الغفاري الطويل: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا»، وفي هذا دليل على أن الأصل في التقوى والفجور هي القلوب فإذا برَّ القلب واتقى برَّتْ الجوارح، وإذا فجُرَ القلب فجرت الجوارح.

ولا شكَّ أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب إذ لو أطاع القلب وانقاد لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة كما قال ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»، فمن صلح قلبه صلح جسده قطعًا، ومن امتنع عن النطق بالشهادتين مع قدرته على ذلك، فلا شكَّ أن الإسلام يزول بفقد الشهادتين إذ المراد بالشهادتين الإيمان بالله ورسوله، والشهادتان علم الإسلام وبهما يصير الإنسان مسلمًا، إذ من أقر بالشهادتين صار مسلمًا حكمًا، فإذا دخل في

الإسلام بذلك ألزم بالقيام ببقية خصال الإسلام.

وقد ضرب العلماء مثل الإيمان بمثل شجرة لها أصل وفروع وشعب، فاسم الشجرة يشتمل على ذلك كله، ولو زال شيء من شعبها وفروعها لم يزل عنها اسم الشجر، وإنما يقال هي شجرة ناقصة وغيرها أتم منها.

وقد ضرب الله مثل الإيمان بذلك في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، والمراد بالكلمة كلمة التوحيد، وبأصلها التوحيد الثابت في القلوب، وأُكلها هو الأعمال الصالحة الناشئة منها.

وضرب النبي ﷺ مثل المؤمن والمسلم بالنخلة، ولو زال شيء من فروع النخلة ومن ثمرها لم يزل بذلك عنها اسم النخلة بالكلية، وإن كانت ناقصة الفروع أو الثمر.

فمن ترك الشهادتين خرج عن الإسلام، إذ يُعلم من مراد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ علمًا ضروريًا أن من لم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك ولا صلى ولا صام، ولا أحب الله ولا رسوله ولا خاف الله أن هذا ليس بمؤمن، وإن ادعى أنه عارف بقلبه صدق رسول الله ﷺ فإن معرفته بقلبه لا تنفعه والحالة هذه، إذ أن الشارع رتب الفلاح والفوز على النطق بالشهادتين مع العمل بمقتضاهما، والأدلة على ذلك كثيرة مشهورة عند العلماء من ذلك:

- حديث جبريل المشهور الطويل في سؤاله للنبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان؛ فأجابه بأن الإسلام: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا».

ومن ذلك حديث عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُني الإسلام على

خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»

[رواه البخاري ومسلم].

وفي الصحيحين عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال لوفد عبد القيس: «آمركم بأربع الإيمان بالله وحده، وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم».

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق».

ومن أجل هذه الكلمة خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق الجنة والنار. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحقاف:٢١]، وهذا هو معنى كلمة الإخلاص الذي اجتمعت عليه الرسل فمن نطق بهذه الكلمة عارفًا لمعناها صادقًا من قلبه عاملًا بمقتضاها فهو المسلم، ومن امتنع عن النطق بها مع قدرته ولم يعمل بمقتضاها فليس بمسلم وإن ادعى الإسلام.

وفق الله المسلمين لتحقيق إسلامهم وإيمانهم إنه سميع مجيب.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.